الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

خطبة جمعة

من أعلام الأمة صلاح الدين الأيوبي

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله العلي الأعلى، ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ * وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ * فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ﴾، يعلم السر وأخفى، هو الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ * وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ * وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ * وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ * وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ * فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾، والصلاة والسلام على عبد الله المصطفى ورسول الله المجتبى ونبي الله المرتضى، وعلى آله وأصحابه ومن به اهتدى.

عباد الله، في تاريخنا أبطال، وفي أمتنا أعلام، وفي تراثنا كنوز وذخائر، هي معالم لتصنع منها أمتنا المسلمة حاضرها ومستقبلها من خلال تاريخها وتراثها، وإن الحديث عن القدوات والأعلام والأبطال والتاريخ والسلف والماضي والتراث ليس من باب الفرار من الواقع أو الاختفاء وراء الماضي، بقدر ما هو من باب المعالجة الموضوعية، والقفزة الحضارية للاستفادة من الإرث والتاريخ والماضي، بقراءة واعية ودراسة متأنية لسنن الاجتماع البشري والتغيير الإنساني، الإنسان على مر الدهور والأزمان هو الإنسان، وإن اختلفت ظروفه قد تتشابه إشكالاته وتعقيداته، وبالتالي قد تتوحد معالجاته من خلال المصادر المعصومة من القرآن والسنة، ونحن كأمة مسلمة في أمس الحاجة أن نتجاوز الأحداث المجردة، وأن نتجاوز الشخوص العابرة من أجل أن نقف على حقائق الإصلاح وعلى سبيل النهضة وعلى طريق التغيير لتغيير واقع أمتنا.

فاخترت اليوم بطلًا من أبطال الإسلام، انشغل فيها المسلمون بأبطال كأس العالم، ضيعت الأمة القدوات الحقيقية والأبطال التي ينبغي أن يقتدى بهم حقيقة، ونسبوا من يحرز الأهداف ويسجل في أرقى الأندية الأوروبية لكرة القدم نسبوهم إلى البطولة زورًا وبهتانًا، والبطل الذي اخترته للحديث عنه هو بطل واقع قريبًا من واقعنا والأحداث تتشابه بيننا وبينه، غير أن الرجولة والقدوة والصناعة للتاريخ اختلفت بيننا وبينه. اخترت اليوم خطبتي والناس في نهايات كأس العالم ينتظرون المباراة الختامية ليعرفوا من سيفوز بالكأس وسينال النجومية وسينال البطولة، اخترت صلاح الدين الأيوبي، وهو صلاح الدين يوسف ابن شادي ابن أيوب ابن مروان ابن يعقوب الدويني الكردي.

وواقع صلاح الدين هو واقعنا الذي نعايشه، كتب أهل السير والأخبار والتراجم يحدثون عن صلاح الدين، عاش صلاح الدين في عصر هيمن فيه الكفار والفرنجة على بلاد المسلمين، وما أشبه الليلة بالبارحة، هيمنة للكفار والفرنجة على بلاد المسلمين، أيام الحملة الصليبية الشرسة على بلاد المسلمين وعلى مقدساتهم، وها نحن نعيش ذات الظروف. وإن من الظروف المشابهة التي عاشها صلاح الدين رحمه الله أن الشام فقط كان بها خمسة عشر إمارة، كان التفرق والتشرذم يكاد يقتل الأمة، وها نحن نعيش عصر تفرق المسلمين عبر هذه الحدود وعبر هذه الحواجز التي وضعها الكفار والفرنجة أعداؤنا ليفرقوا بيننا على مسميات وقوميات تقتلنا وتؤخرنا، ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

وإن من الظروف المشابهة التي عاشها صلاح الدين أن الصليبيين كانوا يستعينون بالمسلمين لضرب مسلمين، وها نحن نعيش ذات الظروف، ولكن الإنسان هو الإنسان بتعقيداته. وها هو عموري الأول، على اختلاف في النطق بين كتب التاريخ التي كتبت بالإنجليزية والتي كتبت باللغة العربية، جاء وحاصر مصر وكانت تحت الفاطميين وكان العاضد هو آخر ملوكهم، فإذا به يفرض عليهم إتاوة وجزية وهم مسلمون يدفعون له أموالًا من أراضيهم لأجل أن يحفظوهم ومن أجل أن يدافعوا عنهم، إنها ذات الظروف والملابسات وكأن التاريخ يعيد نفسه، والتاريخ لا يعيد نفسه، التاريخ هو الزمان والزمان يجريه الله عز وجل.

كتب صلاح الدين إلى أمير طرابلس رسالة من أجل أن يقف معه ضد الصليبيين وضد الفرنجة، أبى الرجل، لما سألوه، قال ابن كثير في البداية والنهاية: اعتذر الرجل، قال: صلاح الدين لم يخاطبني بالإمارة والرئاسة، ما قال يا أيها الأمير، كتب اسمي فقط ولذلك لن أقف معه. الفترة التي عاشها صلاح الدين هي ذات الفترة التي نحن نعايشها.

بدأت الحروب الصليبية بالحملة الأولى التي قادها بطرس الناسك تحت إشراف البابا أربان الثاني، غير أن هذه الحملة تصدى لها السلاجقة وقضى عليها الأرسلان، وهو بطل من أبطال الإسلام والمسلمين، وجاءت الحملة الثانية، وهذه الحملة كانت خطرة جدًّا، ومرت هذه الحملة عن طريق القسطنطينية، وكانت القسطنطينية آنذاك عند الأرثوذكس، وكان أصحاب الحملة من الكاثوليك، وبينهم من الصراع ما بينهم، غير أن الجيش كان كبيرًا فتزود الجيش في القسطنطينية.

واستمر الجيش يسير هذا السير حتى جاء هذا الجيش وحاصر مملكة بيت المقدس التي كانت تحت أيدي المسلمين منذ عصر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، حاصروا بيت المقدس شهرًا كاملًا، وكانت تحت العبيديين، ثم سقطت مملكة بيت المقدس سنة أربعمئة واثنتين وتسعين من الهجرة النبوية، وكان سقوط بيت المقدس في عصر الخليفة العباسي المستظهر بالله، والدولة في صراع ونزاع داخلي، وهذا هو الذي أسقط الدولة المسلمة على مر التاريخ: الصراع حول السلطة، وأضيف إليها مصطلح أخيرًا والثروة، وأحيانًا تقدم الثروة على السلطة، وما زالت أحزابنا في بلادنا مستسلمة تمامًا لهذا الصراع.

أحزاب ورؤساء أحزاب يقولون: مرحبًا بدخول القوات الأجنبية، فقط ليسقطوا لهم هذه الدولة، فقط للتشفي والانتقام، فقط ليأتوا إلى السلطة. بعض الناس إما أن يكون هو في السلطة وإما أن يقول: عليّ وعلى أعدائي، المنطق الأعوج الذي لا يفرق بين البلد وبين السلطة، الذي لا يفرق بين مصالح المسلمين وبين مصالحهم، المنطق الأعوج، لا يفرق فيه الإنسان بين الدين وبين القيم وبين الشخوص والسلطة والحكومات العابرة التي تأتي وتتحول وتتغير، إنه منطق أعوج، إن الأمة الإسلامية لم تستفد عبر تاريخها الطويل من هذه المسألة، مجرد أنها تقرأ التاريخ مجرد قراءة، ولا تعرف لماذا سقط بيت المقدس.

ودخل هؤلاء في إرهاب لم يحصل على مستوى التاريخ، أسبوعًا كاملًا يقتلون المسلمين، أسبوعًا كاملًا، لا يفرقون بين امرأة عاجزة ولا بين طفل رضيع ولا بين شيخ هرم، إن أوروبا هي التي زرعت الإرهاب، وهي التي مكنت للإرهاب، ولم ير في تاريخ الإنسانية أسوأ إرهابًا من الأوروبيين مما يشكك في قضية حقوق الإنسان. أنا لا أقتنع بحقوق الإنسان إذا كانت قضية حقوق الإنسان تفرق بين الإنسان الإسرائيلي والفلسطيني، هذه معناها معايير مزدوجة لقضية حقوق الإنسان، ويراد بها تركيع أمتنا وإيقاف مدننا ومحاصرة حضارتنا، إنهم لا يريدون حقوقًا للإنسان، أين حق الإنسان في العراق؟ لما ضربت الملاجئ، ومنع العراق من الطعام والشراب

فماتوا جوعًا، أين حق الإنسان في فلسطين؟ التي ما زال القتل فيها قصفًا ودويًّا يدوي إلى يومنا هذا، كل يوم عشرات القتلى ومئات الجرحى، أين هي حقوق هذا الإنسان وأين الديمقراطية الزائفة؟ وأين هذه الحقوق التي يتغنى بها؟

يؤسر جندي إسرائيلي واحد، قائمة الدول والوساطات، ويتكلم الرئيس الأمريكي بنفسه ويقول: لا مجال ولا حل إلا بعد تسليم هذا الأسير، وفي السجون آلاف الأسرى، لم يكونوا جنودًا يحملون سلاحًا، فيهم نساء وفيهم مساكين وفيهم عجزة، ولأنه أسر جندي إسرائيلي واحد، الفضائيات والإذاعات العالمية إلى يومنا هذا تتكلم، ولأنهم أسروا واحدًا قتلوا مئات في غارات مختلفة، إنه منطق القوة، وإنه بالذات العاجزين والضعفاء والمساكين من أمثالنا.

بينما الأمة في فلسطين والأرض تلتهب وميدان القتال مستعر، أمتنا مع ميدان كرة القدم مع أبطال كأس العالم، واحد تلقاه زعلان، يا أخي مالك؟ قال: البرازيل طلعت، شنو يعني البرازيل طلعت؟ أمة عجيبة، فرق بين ميدان القتال الحقيقي وبين ميدان كرة القدم، الأمة ما زالت تلعب، وإسرائيل ما زالت تعبث في أرض الله فسادًا.

وبالتالي لما قتل هؤلاء، الروايات تقول قتلوا في أسبوع مئة ألف، إن الذين قتلوا في برج التجارة العالمي لم يصله هذا العدد، مئة ألف في أسبوع، وما قتلوا برصاص، إنما قتلوا بالسكاكين وبالسيوف، سالت الدماء، داخل المسجد الأقصى احتمى الناس بالمسجد ظنًّا أن المسجد يحميهم، وأن الكفار يحترمون معابدنا كما نحترم معابدهم، احتمى الرجال والنساء بالمسجد فدخلوا المسجد بخيولهم، بلغت الدماء قوائم الخيول، أين الإرهاب؟ أين الإرهاب؟ الإرهاب عند راعية الإرهاب، إسرائيل وأمريكا وأوروبا كلهم إرهابيون، كلهم يدخلون في شؤون المسلمين، كلهم يبحثون عن مصالحهم، كلهم يبحثون عن البترول في جنوب السودان وعن اليورانيوم في دارفور وعن المياه، يبحثون عن المعادن وعن المصالح، وبين صراع فرنسا وأمريكا تضيع دارفور ويضيع المسلمون، إنه الإرهاب في أوضح صوره وفي أوضح معالمه.

سقوط بيت المقدس أحدث هزة عنيفة عند الخليفة العباسي، فأخذ العلماء من أجل أن يقودوا حملة، لكن ما خرج معه أحد لأن الناس كانوا تحت ظل الأفكار المنحرفة وتحت وطأة الترف، وقال ابن كثير معلقًا بعبارة واحدة: إنا لله وإنا إليه راجعون. في ظل هذه الأحداث قاد صلاح الدين الأيوبي، وبدأت حياة صلاح الدين وهو

جندي عند نور الدين محمود الزنكي، أرسله نور الدين ومعه عمه أسد شيركوه ابن شادي، خرجوا إلى مصر لما أرسل إليه العاضد شعور نساء قصره ليحميه من الفرنجة، فجاء صلاح الدين ودخل مصر، وبعد مؤامرات وسلسلة طويلة وكان عمره في الثلاثين، استقر الأمر في مصر لصلاح الدين الأيوبي.

كيف بدأ صلاح الدين؟ بيت المقدس التي سقطت سنة أربعمئة واثنتين وتسعين أرجعها صلاح الدين بعد تسعين عامًا، كيف رجعت؟ أول شيء فعله أنه اعتنى بعلماء الأمة، ومن يقنع حكامنا بأن يعتنوا بعلماء الأمة، اعتنى بعلماء الأمة وقربهم وأدناهم وجعلهم أهل مشورته، إن السياسيين يعتقدون أن العلماء مولانات لا يفهمون في السياسة وأنهم دراويش، ائمة المساجد في بلاد المسلمين أقل الناس رواتبًا. صلاح الدين الأيوبي أدنى وقرب العلماء، منهم نجم الدين الخبوشاني وأسامة بن منقذ وأبو طاهر السلفي وابن نجا، كل هؤلاء العلماء كان يقربهم.

ابن كثير أكثر شيء استوقفه في سيرة صلاح الدين، كلها قتال وجهاد وجيوش ومؤامرات، استوقفه أن يحرص على صلاة الجماعة في المسجد مع كثرة مشغولياته. صلاح الدين لبس لأمة حربه عشر سنوات متتالية، عشر سنين، من سنة خمسمئة وثمان وسبعين إلى خمسمئة وثمان وثمانين هجرية.

صلاح الدين لما تمكن في مصر ذهب واحتل الشام، وكانت تحت مسلمين، سبحان الله! شيء غريب! واحتل دمشق، وفرح به المسلمون لما دخل دمشق، وكانت تحت نور الدين وقد مات نور الدين واختلف أبناؤه على حكمه، فجاء صلاح الدين وحزم الأمر، أول شيء فعله أقام الحدود وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ووضع عن الخلق المكوس، المكوس أي حاجة فيها قروش بيدفعوها الناس منعها. وبالتالي صلاح الدين الأيوبي رحمه الله وحد بين مصر والشام، وكان هذا هو السبيل الأول، أسقط المكوس ففرح الناس وأرجع الناس إلى سيرة نور الدين، قال ابن كثير معلقًا: ولله عاقبة الأمور.

ثم بدأ صلاح الدين الأيوبي يتتبع الفرنجة من أجل أن يحرر بيت المقدس، ذهب فوجد مع الصليبيين سنة خمسمئة وتسع وسبعين هدنة، لكن الصليبيين نقضوا الهدنة، فإذا بفرنسي هو من بقايا الحملة الصليبية الأولى، وكان حاكمًا على منطقة في الأردن اسمها الكرك، وكان أبرنسًا عليها، هذا قطع طريق الحجاج وأسر مجموعة من الحجاج، فأرسل إليه صلاح الدين أن سلمني الأسرى، لأن الأسرى عند صلاح الدين كانوا ذا قيمة لأنهم من المسلمين، فأبى، فاعتبر صلاح الدين أن الهدنة قد انتهت.

سمع الصليبيون بأن صلاح الدين يقصد بيت المقدس، فاجتمع الصليبيون من طرابلس، معهم قومس طرابلس وبقيادة ملك مملكة بيت المقدس، ومعه الذي أسر الحجاج، وجاء هؤلاء جميعًا في ثلاثة وستين ألف مقاتل، وصلاح الدين معه اثنا عشر ألف مقاتل، ومعهم صليب يسمى بصليب الصلبوت، وصليب الصلبوت هو أم الصلبان، يزعمون زورًا وبهتانًا أن عيسى عليه السلام قد صلب عليه، وجعلوه كله ذهب، وحملوا الصليب وجاؤوا.

فلما سمع بهم صلاح الدين في بادئ الأمر أراد صلاح الدين أن يتراجع، فاستشار جنده ثم استخار الله، استخارة دونها التاريخ، سجد لله جل جلاله وقال: اللهم انقطعت الأسباب الأرضية لنصرة دينك، وما بقي إلا الإخلاد إليك والاعتماد عليك، اللهم فانصرني. احتل صلاح الدين مواقع المياه، جميعها أماكن المياه، وكان ذلك سنة خمسمئة وثلاث وثمانين هجرية، نزل صلاح الدين عند طبرية، ثم نزل غربي بحيرة طبرية على سطح جبل على قرية تسمى حطين، وعسكر صلاح الدين ينتظر جيوش الفرنجة كما يسميهم أهل التاريخ وجيوش الصليبيين الذين جاؤوا يحملون صليب الصلبوت.

بدأت المعركة يوم السبت، وكان الصيف شديدًا والعشب كثيرًا، فأمر صلاح الدين بإطلاق النار على العشب، قال ابن كثير: فقامت نار العشب تحت خيول الصليبيين وأمطروهم بنار من السهام فوق رؤوسهم، وبدأت معركة تعتبر من أشرف معارك التاريخ على مر التاريخ عدا صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأوائل، قتل في المعركة من الصليبيين ثلاثين ألفًا، نصف الجيش، وأسر ثلاثين ألفًا، قال أهل السير: من رأى الأسرى ظن أنه لا قتلى، ومن رأى القتلى كأمثال التلال والجبال ظن أنه لم يؤسر أحد، اثنا عشر ألف! يهزموا ثلاثة وستين ألف، يقتلوا ثلاثين ألف ويأسروا ثلاثين ألف ويموت منهم سبعة وثلاثين، اثنا عشر ألف! والله دي معركة ما في ليها مثيل، عجيبة.

أسر صاحب الكرك، اللي كان بيأسر الحجاج، وملك مملكة بيت المقدس جميعهم أسروا، وأسر الصليب نفسه، صليب الصلبوت نفسه ونكس. لكن صلاح الدين محترم، عامل الأسرى من الملوك معاملة كريمة. ثم قام صلاح الدين بنفسه، استل سيفه وقال له: أنت الذي قلت لي يأتيك محمد ليتسلم الأسرى من الحجاج، أنا ها أنا ذا نائبه وخليفته، ثم ضرب صلاح الدين عنقه بين جميع القادة.

ثم ذهب صلاح الدين بعد هذا النصر المؤزر وحاصر مملكة بيت المقدس أسبوعًا كاملًا فسقطت في أسبوع، بل كانت زوجة صلاح الدين الأيوبي الخاتون عصمة الدين بنت معين الدين أنر رحمها الله كانت ترفع يدها وهي تدعو لصلاح الدين وصلاح الدين في البر، وهي لا تعرف ولكن قلبها ينقبض فتشعر أن زوجها في محنة وأن الجيش المسلم في محنة، فترفع يدها قائلة: اللهم لا تنصر صلاح الدين ولكن انصر الدين. أسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضى، وأن يأخذ بنواصينا إلى البر والتقوى، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. بعد سقوط بيت المقدس أحدث سقوط بيت المقدس هزة عنيفة في أوروبا، فخرجت حملة صليبية ثالثة بقيادة ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا، وقبله خرج ملك ألمانيا في جيش كبير، غرق ومات، قال ابن الأثير: لولا لطف الله تعالى بإغراق حملة ملك الألمان لقيل كان هنا بلاد مسلمين.

وخرج ريتشارد وجاء في سنة خمسمئة وسبع وثمانين، ودخل مع صلاح الدين في مجموعة من المنازلات، وكان أقوى هذه المنازلات أن هذا الملك احتل مدينة عكا، وسقطت مدينة عكا في يد الصليبيين بحيلة وغدر منهم، وقتل ثلاثة آلاف مسلم داخل مدينة عكا، عزل من السلاح، أبرياء من المدنيين، وبعد ذلك مع صلاح الدين في معركة قرب عكا فانتصر ريتشارد قلب الأسد، فتراجع صلاح الدين وخرب مدينة عسقلان الاستراتيجية واحتمى ببيت المقدس وجمع جيشه.

تردد ريتشارد قلب الأسد كثيرًا لما رأى من قوة صلاح الدين وحزمه، فأرسل إلى صلاح الدين رسالة، قال له: القدس مكان عبادتنا، هذا ريتشارد، وسوف نقاتل عليها حتى آخر رجل منا، ينتظر رد صلاح الدين، فقال له صلاح الدين: القدس لنا كما هي لكم، بل هي عندنا أعظم لأنها مسرى نبينا ومحشر أمتنا، ولا تتصورن ولا يخطرن ببالك أنا سنتنازل عن شبر منها، بل ولا نستطيع أن نتلفظ بهذا بين المسلمين فضلًا على أن نفعله.

أراد ريتشارد أن يرجع إلى أوروبا ووقع هدنة مع صلاح الدين على أن تكون بيت المقدس للمسلمين، وأن يأتي النصارى في السنة مرة ليحجوا إلى قبر المسيح على حد زعمهم، وألا يمنعوا من ممارسة طقوسهم، رجع قلب الأسد إلى إنجلترا، وبعد عام توفي القائد صلاح الدين الأيوبي سنة خمسمئة وتسع وثمانين بعد ستة أعوام من تحريره بيت المقدس.

ولو أرادت الأمة أن تعيد بيت المقدس أقول كلمتين: إنما عليها أن تحرر نفسها من أفكار الضلال في بلاد المسلمين، إنما تقاتل الأمم بأفكارها ولأجل أفكارها، ثانيًا لابد من صلاح الدين قائدًا وصلاح الدين مجتمعًا، لابد أن ينصلح الدين في مجتمعات الناس وأن يعود الناس إلى ربهم.

أسأل الله تعالى أن ينصر إخواننا المرابطين في بيت المقدس، اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين، واحم بسلطانك وبقوتك وقهرك وعظمتك هذا الدين يا رب العالمين، اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيها أهل طاعتك ويذل فيها أهل معصيتك ويؤمر فيها بالمعروف وينهى فيها عن المنكر ويحكم فيها شرع الله تعالى.

اللهم رد الجميع إليك ردًّا جميلًا، اللهم كن لإخواننا في فلسطين، اللهم كن لإخواننا المجاهدين في كل مكان، اللهم اجمع كلمتهم وقو رميتهم وشتت عدوهم وزلزل الأرض من تحت أقدام اليهود يا رب العالمين، اللهم إنهم لا يعجزونك، اللهم إن اليهود أعجزوا حكامنا وشعوبنا وأعجزونا ولكنهم لا يعجزونك، اللهم عليك بهم، اللهم عليك بهم.

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/sounds/من-أعلام-الأمة-صلاح-الدين-الأيوبي/

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك	يوتيوب	تيليجرام	قناة واتساب	إكس
MohammedSayedHaj	@msayedhaj	@msahaj	قناة الشيخ	@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com